الفائت وسوف اصف لقراء الانيس متاحفها وآثارها في رسائل متتابعة كما وعدت في مفتتح هذه النبذة التاريخية وعلى الله الاتكال

موقف الحيرة

بين التزوج والتبتل

نعم انا في موقف الحيرة ومقام التردد فماذا اصنع . هل اتزوج وانا ارى كل يوم واسمع من مصائب المتزوجين ما يبغض اليّ هذا الاسار المؤلم ويزين لي مبادئ الفلاسفة الذين أبوا الا التبتل ذاهبين الى ان هذا الزواج انما هو من اضداد الفضيلة التي هي مطلب الفيلسوف وسر الفلسفة الحقيقية لما فيه من امتهان النوع الانساني وابتذال النفس البشرية ما لا يستريح معه الطبع السليم والخلق الكريم . ثم لما كانت هذه الدنيا دار عناء وشقاء . وقرارة اقذار وأقذاء . فمن افظع الآثام واشنع الجرائم ان يكون المرء فيها علة لايجاد ذراري يسلمها الى هذه المكاره ويزجها في معارك هذه الاهوال . انا بقلب الفيلسوف الرقيق لا استطيع النظر الى طفل ناعم اراه عرضة لمظالم الحوادث وغرضاً لسهام الخطوب . اي نعم ان نابي ليذوب اذا سمعت انين طفلي العزيز لمرض عراه او سقم دهاه . بعض انينك اي فرخي العزيز فما لابيك المسكين قلب يقوى على هذه الالام . بم اعتذر اليك عن ايجادك هذا الهزن . انا انا المسيء الذي جنى عليك واساء اليك . ستدفعك ادوار الحياة

الى شقاء وبلاء . انا منهما شديد الاشفاق طويل الاحتراق — ستطلب اموراً يعجزك نيلها ويعييك طلابها ويبغض اليك الحياة امتناعها فتفكر ساعة من ساعاتك في من جنى عليك هذه الجناية — جناية الحياة التعيسة الشقية في هذه الدار الخسيسة الذنيئة . ثم انت قصاراك ان تموت — تموت بحيث تراك عيني هذه الباكية لما لم يقع فكيف بها يوم ذلك . هذا هو المصاب الاليم لا صبر لي عليه ولا قبل لي باحتماله . هذا هو الرزء العظيم الذي لا يفيه بكاء العيون وحزن القلوب

لو كان حزن البرايا قدر رزءهم بالموت لم يبق لا عين ولا كبد

أأراك على فراشك تعالج سكرات الموت تضطرب روحك الطاهرة مستجمعة لفرارها من سجن الجثمانية الكثيف . هذا السجن المظلم الذي دخلته كارهة وتخرج منه كارهة

ستظعن وهي كارهة غضوب اذا دعيت فازعجها الدعاء

ثم انت بعدئذ مستودع جوف حفرة تعدو على جسمك فيها عوادي الفناء وتأكلك نبات الارض والبلى . ثم كأني بك وقد عدت الى عنصرك تراباً سحيقاً لا يعدو ان يصيبك ذو حاجة فيمتهنك ويصنع منك حاجته كما يقول شاعر المعرة وفيلسوفها الحكيم

لعل اناء منه يصنع مرة فيأكل فيه من اراد ويشرب

ويحمل من ارض لاخرى ومادرى فواهاً له بعد البلى يتغرب

اقول هذا بلسان الفيلسوف الرؤوف ولكن ما هي الفلسفة . واين هي من هذا الجهل والسفه — الفلسفة هي الحقيقة العاصمة من الزلل . او الحكمة المانعة من الخطاء والخطل . وليس فيما تؤديه هذه الكلمات الجليلة

من المعاني والمقاصد ما ينطبق على ذلك الهذيان — هذيان المدعين من المتفلسفين الواهمين

اذن فالفيلسوف الحقيقي الحكيم هو الذي لا يخرج بمبادئه وافكاره عن مبادئ واوضاع الشرائع السماوية لانها مؤسسة على الحكمة والحقيقة فليكن ما اراد الله وقضت به هذه الشرائع العادلة — ولاجل ان اكون فيلسوفاً حقيقياً يجب ان لا اعطي الاوهام المضلة مقودي. وانه لمن الضعف المهين والجبن الشائن ان اتألم لعناء هذه الدنيا واشفق من آلامها متضائلا امام مصاعب الحياة . فجميل جداً ان اكون صليباً جليداً . اتلقى المكاره بصدر رحيب واصافح الاقدار بيد راضية ضاحكا الى عابسات الحوادث . ومبكيات الخطوب والكوارث . اني اذاً ادعى عظيماً واكون فيلسوفاً حكيماً . هذه كلمتي اقولها وان غضب الصديق ابو العلاء ومن اتبع سنته ورضي شرعته. ثم انا بعدها لا ارى بداً من الزواج. واية سعادة يرزقنيها واهب السعادات اذا انا كنت ذا شريك يقاسمني تكاليف الحياة ويشاطرني اعباءها الفادحات. يالين اذا اشتد خطب. ويبسم ان عبس كرب. يأسو اذا جرح امر . ويؤاسي اذا ناب ضر . نعم انا اكون سعيداً اذا اصبت هذا الشريك بعينه ولكنه ربما كان عزيز المنال عسير المرام . فيا ليت شعري اين اصيبه واية اجده — اجده اذا انا فتشت عنه ولكن كيف افتش — لا ادري كيف افتش . ابنفسي اتولى امري واحك جلدي بظفري مختبراً حال ذلك الشريك قبل وقوعي في الشرك . احاول الخلاص ولات حين مناص . فيلج بي التعني . واصبح وكأني

قطاة غرها شرك فباتت تنازعه وقد عاق الجناح

من لي بهذا والعادات الشرقية لا تجيز هذه المطالب . بل هي تعدها من شر المصايب. وانا امرؤ سيء الظن بالناس لا ارضى حتى اختبر ولا اعتقد حتى اجرب. اتذهب امي وخالتي الى ذات خدر ما رأيتها ولا رأتني ولا عرفتها ولا عرفتني ثم هي تعود اليّ تقص اخبارها عليّ تقول كيت وكيت . ولا سمعت ولا رأيت . فما اضعف رأيي ساعة اغتر بما يقال . وارضى بهذا الضلال ...

ذريني يا اماه ويا خالتاه فلقد علمت ما لم تعلماه . ورأيت ما لم ترياه .

وحلبت هذا الدهر اشطره وعرفت منه الحلو والمرا

خلياني فاني ذاهب اما الى السوق واما الى هذه الاكواخ الحقيرة . والدور الصغيرة . انشد حاجتي فلعلي ان اصيبها . هنالك لا حرج علي ولا اثم على الفتاة اذا نحن جلسنا نتحدث بمرأى من اهلها ومسمع . اليس في هذا الحديث وما يتخلله من الحركة والسكون . ما يدلني على ما كان منها وما يكون . اما في تعهد تلك الفتاة حيناً بعد حين. ما يجعلني من امرها على يقين

هذه بيوت الاعراب بمقربة منا وفيها من العفة والطهر والعقل والادب ما اختبرته بنفسي . ورأيته بعيني رأسي . خلياني اذهب اليها فاني اذا دخلت واصداً منها خلى اهله بيني وبين فتاتهم انازعها الحديث وأبادلها النظر . تلك عادتهم لا يرونها عاراً . ولا يحسبونها صغاراً . فمالي لا اذهب اليهم . ولم انا لا احبس حاجتي عليهم — لقد اغضبتكما الان واغضبت ابي واقاربي وكل اخواني ومعارفي ولشد ما يؤلمني هذا الامر فيا رباه ماذا اصنع

أأعيش وحيداً لا من يشاطرني متاعب الحياة ولا من يعينني على الحادثات اني اذاً اكون اكسف الناس بالا . واكثرهم بلبالاً . لا اذوق للذة

العيش طعما ولا ارى السعادة الا وهماً . تظمأ نفسي الى موارد الحمام . فاكرر لها ما قلته في غير هذا المقام

فيا نفسي المعذبة استريحي فيوشك يوم ذلك ان يكونا

« شاعر ناثر »

الزواج

الزواج وهو مطلب الصبي منذ يراهق وغاية الفتاة حين تبلغ الحلم وواسطة عقد الحياة بل هو الغاية الجلى التي يسعى اليها كل حي من الجنسين بعد قضاء اهم مآرب الحياة فان الغلام لا يكاد يبلغ عهد الشباب وتنبسط له اسرار الحياة حتى يشتغل قلبه بمطلب الزواج وتنصرف نفسه الى البحث عن الرفيق فتتمثل له دورة الارض بطيئة ويود لو مرت به الايام سراعاً فيقضي واجبات دور الدرس والتعليم ويقتل سنين الحداثة توصلا الى عهد الشباب وهو لا يريد بهذا الصبر غير هذا الزواج وكذلك الفتاة فانها لا تكاد تماط عنها التمائم وتقف على بعض اسرار هذا الوجود حتى تأخذ بالتزين والتبرج ومصافاة المرآة كي يحسن منظرها في العيون وتجد تلك الضالة فهي لا تنصرف الى تحسين وجهها واخلاقها ولا تنهمك في الدروس والاعتناء بظواهرها الا طلباً لارضاء هذا الزوج كي تشتمل واياه برد السعادة وتعيش معه في هناء الحب ونعيم الزواج

ولما كان هذا الزواج مطلب كل من الفريقين فقد اصبح الهناء الصحيح

والنعيم الدائم وهو لم يجعل الا ليكون على هذا الحد ولكننا لو بحثنا في احوال المتزوجين لما وجدنا من بلغ منهم هذا الهناء غير النزر اليسير وما ذلك الا لخطاء اولئك المتزوجين وعدم تمهنهم في الاسباب الداعية اليه فان هذا الزواج يشبه نعيم الآخرة الا ترى ان المؤمن اذا لم يقض العمر باتيان الصالحات والتأهب للقاء وجه الله فلا يظفر بشيء من هذا النعيم الخالد وكذلك الزوج فانه اذا لم يتدبر في الزواج ويتبع فيه سبل الحكمة ويتأهب لاستقبال صفائه بما يعد له من خلق رضي واختيار زوجة صالحة وتناسب في المقام والاخلاق الى غير ذلك من شروط هذا المطلب العزيز فهو لا يظفر ايضاً بشيء من هذا الهناء الذي ينبغي ان يدوم بدوام الحياة . ثم ان الزوج يشبه ذلك الرجل الذي يسير فوق حبل مرتفع فاذا لم ينتبه ويحترس بنقل خطواته على شروط هذا السير فقد توازنه وزلت قدمه فيسقط مهشماً على الارض وكذلك المتزوج فانه اذا اخل بشرط من شروط زواجه استحال نعيمه الى بؤس وانقلب خيره الى شر . وهذا ما نراه بين اكثر المتزوجين فان معظمهم لا يقدمون على الزواج الا لمأرب مادي فلا ينتبهون الى مستقبله ولا يدفعهم اليه حب صادق او حاجة قاضية واكثر ما يكون هذا الزواج بيننا لما قدمناه من غاية المال او بضغط اب ونسيب او لجمال وقع من العين دون ان يبلغ الى القلب الى غير ذلك من هذه الاشباه التي لا تجمع بين الزوجين الا لغرض مقصود وآراب خاصة فاذا قضيت هذه الآراب زالت الرابطة بينهما ولم يعد الزواج بينهما حقيقة مسماة وهكذا كل زواج لا تبنى دعائمه على الحب الصالح فانه يمسي كالبيت يبنى اساسه على الرمل فاذا هبت عاصفة قوضت اركانه وهدمت مبانيه